الأمن القومي في لبنان، في سبيل مقاربة متكاملة

الجمعة 16 تشرين الأول، 2015 - بيت الستقبل، سرايا بكفيا

قراءة في تاريخ الأمن القومي في لبنان

اللواء عبد الرحمن شحيتلي

لن اتطرق لعصر الدولة ما قبل العام 1970

انهيار الأمن والحرب الأهلية: (من العام 1975 لغاية العام 1982)

لعبت القضية الفلسطينية الدورالأساسي في اهتزاز الأمن اللبناني وبدأ هذا الاهتزاز يأخذ الطابع العملي مع اتفاق القاهرة عام 1970 عندما نقلت ساحة الصراع العربي ـ العربي والعربي الإسرائيلي الى الساحة اللبنانية حيث كان لكل من الأنظمة العربية منظمة فلسطينية مسلحة تقوم بدعمها.

ولتأخذ هذه الصراعات مداها " وبراحتها " كان لابد من شلّ الآلة العسكرية اللبنانية وانهيار الأجهزةالأمنية واعطاء هذه المواجهات طابع الحرب الاهلية واعتباراً من العام 1975 لم يعد هناك شيء يسمى امن قومي لبناني .

حاولت الدول العربية لملمة الوضع فانشأت قوات الردع العربية التي تحولت بسبب الخلافات العربية بعد كامب دايفد الى تواجد سوري عسكري آحادي فأدى ذلك الى مواجهة مسلحة بينه وبين الاحزاب المسيحية.

الاجتياح الاسرائيلي وتداعياته: (من العام 1982 لغاية العام1987)

في العام 1982 قامت اسرائيل باجتياح لبنان واحتلت مساحة واسعة من ارضه ودخلت عاصمته بيروت وانسحبت بنتيجة ذلك الفصائل الفلسطينية المسلّحة من لبنان تحت اشراف قوة متعددة الجنسيات. وبعد انسحاب الجيش الإسرائيلي كانت قوة من الحلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية قد انهت تمركزها في بيروت والمناطق الحاكمة لها .

وبعد إعادة تكوين السلطة السياسية عام 1983 صدر المرسوم الاشتراعي رقم 1983/102 الذي نص على الهيكلية الجديدة للجيش اللبناني التي تضم ألوية ميكانيكية فقام الجيش الأميركي بتجهيزها وتدريبها بسرعة قياسية تحضيرا للمواجهة بين الحلف الأطلسي وحلف وارسو .

وقد عبّ عن ذلك صراحة قائد الجيش اللبناني آنذاك العماد ابراهيم طنوس حين استدعى الى قاعة العماد نجيم في وزارة الدفاع كافة ضباط الجيش اللبناني وابلغهم بأن حلف وارسو وصل

الى بحمدون والحلف الأطلسي علي شواطئ بيروت والحرب قادمة ونحن جزء منها ومن منكم لا يرغب في المشاركة في هذه الحرب عليه ان يتقدم باستقالته بعد انتهاء الاجتماع.

ففي ذلك اليوم حدد الحكم خيارا واضحا لسياسة الامن القومي اللبناني :

" لبنان رأس حربة في الحلف الاطلسي بمواجهة حلف وارسو "

كان لهذا الخيار تداعيات كبيرة فبالرغم من الاستثمار السياسي والعسكري والامني الكبير للحلف الاطلسي في لبنان فقد ادى تفجير مركز القيادة الاميركية في مطار بيروت ومركز القيادة الفرنسية في الجناح الى انسحاب الحلف الاطلسي من لبنان تاركا الدولة والجيش اللبناني بمواجهة الانشطار السياسي في الوطن والانشقاق المناطقي لألوية الجيش اللبناني .

ومجدداً انهار الامن القومي اللبناني .

عودة النفوذ الامني السوري الى بيروت: (من العام 1987 لغاية العام 1989)

ومجدداً ومن بوابة الوجود الفلسطيني ايضا وبعد ثلاث سنوات من الحروب بين المخيمات الفلسطينية وجوارها في بيروت والجنوب وصراعات مسلحة ميليشيوية في طرقات بيروت دخلت وحدات خاصة من الجيش السوري بهدف معلن " وقف حرب الاخوة " لتأخذ الدور الاساسي في السياسة الامنية في لبنان فيما بعد .

كانت الولايات المتحدة تحضر لحرب العراق وبسبب حاجتها لدعم دول الجوار العربي لهذه الحرب، أعطت لبنان كجائزة ترضية لسوريا والسعودية باتفاق سميَ اتفاق الطائف عام 1989 حيث كانت سيطرة تامة للأمن السوري على الامن اللبناني وكانت النتيجة سياسة امن قومي واضحة للبنان:

"الامن القومي السوري"

حزب الله :

نشأت في ظل ذلك منظمة أمنية قوية هي حزب الله، فشكّل قيمة وازنة في الصراع ما بين حلف سوريا – ايران و حلف اسرائيل - الولايات المتحدة الاميركية. وبالرغم من الضربات المتتالية التي وجهتها اسرائيل لحزب الله، استطاع الحزب تحقيق انتصار معنوي كبير عليها وذلك بإجبارها على الانسحاب من الشريط الحدودي عام 2000.

لكن هذا الانسحاب لم ينهي المواجهة مع حزب الله فتتطور ليبلغ الذروة في العام 2006 في حرب شنتها اسرائيل بدعم من الولايات المتحدة الاميركية انتهت بقرار من مجلس الامن نص على وقف الاعمال القتالية والانتشار مجددا لقوات معززة للأمم المتحدة في جنوب لبنان.

لم تحقق هذه الحرب الاهداف المرسومة لها بل شكلت مصدر قوة مضاعفة لحزب الله.

ما بعد الانسحاب السوري عام 2005

بعد اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية عام 2005شهد لبنان انهيار الامن القومي اللبناني الواضح سوريًا كما انهار من قبل الامن القومي اللبناني الواضح أميركيا عام 1984. ولم تتمكن الامتيازات السياسية للطوائف من تحصين النظام السياسي اللبناني ولم تحم الطوائف بل ادت الى انشطار سياسي عامودي هدد الوحدة الوطنية وكاد ان يهدد الكيان لولا انه ولحسن الحظ هذه المرة لم يؤثر الانشقاق السياسي على الآلة العسكرية اللبنانية التي بدت متماسكة اكثر فأكثر لتحمي وحدة لبنان.

ادى الانشقاق السياسي الكبير الى عدم الاتفاق على الاستراتيجية الدفاعية للبنان التي يفترض ان تكون الموجه لسياسة الامن القومي اللبناني ويبدو ان انتظار الاتفاقات السياسية والتشريعات اللازمة لتحديد اطار الامن القومي اللبناني لن تكون في متناول اليد في المدى المنظور. لكن الامن القومي اللبناني المتوازن نجح هذه المرة بصياغة امن قومي لبناني، فحدد لنفسه الاخطار التي تهدد لبنان:

الخطر الاسرائيلي العسكري والأمني

وخطر الارهاب الذي يطرق ابواب الحدود اللبنانية الشرقية .

واستنادا لذلك حدد الاطار للسياسة العامة للأمن القومي اللبناني والمكونات الاساسية لاستراتيجية الامن القومي واللبناني.

فكان عنوان الامن القومي اللبناني هذه المرة هو:

"الدفاع عن لبنان ضد العدو الاسرائيلي ومحاربة شبكاته المخابراتية في لبنان إلى جانب محاربة الارهاب على الحدود الشرقية وتفكيك وتدمير خلاياه في الداخل اللبناني"

ادت هذه السياسة الامنية إلى دعم كبير من قبل الاجهزة العالمية الغربية والشرقية، فبالرغم من الصراعات السياسية بين دول التحالف المشرقي ودول التحالف الغربي الا ان حاجة الدول الغربية للاستقرار الامني في لبنان خاصة بسبب وجود وحدات من دول الصف الاول في اوروبا من ضمن قوات الامم المتحدة العاملة في لبنان UNIFIL وحاجة حلفاء ايران إلى التعاون أمنياً مع الاجهزة الامنية اللبنانية لحماية ظهرها في مواجهتها مع اسرائيل ومع التطرف شكلت نقطة لالتقاء المصالح ما بين الدول الغربية وحلفاء ايران والاجهزة الامنية اللبنانية التي استطاعت أن تبني جسور قوية من التعاون مع كلا الجهتين.

لبنان اليوم وبالرغم من عدم وجود غطاء سياسي داخلي موحد لأجهزته العسكرية والأمنية ينعم باستقرار أمني ظاهر وواضح ونحن هنا نتكلم عن الأمن القومي وليس عن الجريمة والأمن الاجتماعي.

فالخطر الاسرائيلي مجمداً كما نص القرار 1701 وبالرغم من الطلعات والاعتدآت والاختراقات العسكرية الاسرائيلية جواً وبحراً وبراً الا أن النشاط الامني الاسرائيلي تحت السيطرة إلى حد كبير .

ونجحت القوى العسكرية اللبنانية في صد الارهاب القادم من الحدود بانتشار دفاعي موثوق.

كما وأنه وبالتنسيق ما بين القوى الامنية والقوى العسكرية تم القضاء على الخلايا الارهابية الظاهرة والنائمة .

حزب الله والأمن القومي اللبناني

شكلّت قدرات حزب الله النارية والقتالية سبباً اساسياً في اختيار الغرب لمبدأ المفاوضات مع ايران بدلاً من خيار توجيه ضربة عسكرية لها في موضوع التطور النووي .

فقد قامت الولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها بدراسة دقيقة لردة فعل حزب الله في حال توجيه ضربة لإيران ومدى تأثير ردة الفعل هذه على اسرائيل وعلى الدول الغربية ، ولما ادركت بأن ضربة نارية فورية وغير محدودة النتائج اضافة إلى خرق كبير للجهاز الدفاعي الاسرائيلي هما بحكم المؤكد، اختارت الثمن الاقل كلفة وهو طريق المفاوضات الدبلوماسية. فكان ان حققت إيران انتصاراً كانت تسعى اليه ومن دون أن تدخل الحرب، ولتصبح دولة اقليمية عظمى تتمتع بعلاقات دبلوماسية واقتصادية مع مختلف دول العالم .

لم يلحظ الاتفاق اي تفاهمات على قضايا اقليمية اخرى ولكن نتج عنه تغير بمكان ساحات الصراع وبالاهداف من الصراع .

فأنتقل الصراع على النفوذ ما بين إيران والسعودية إلى ساحات ثلاث:

ـ اليمن: للسيطرة على مضيق المندب

ـ الاماكن المقدسة: للمشاركة بإدارتها

ـالخليج العربي: العلاقات المميزة مع الدول الخليجية والسيطرة على الخليج العربي واسعار النفط

كما أن الصراع في سوريا أخذ منحاً آخراً فدخلت روسيا مباشرة على خط المواجهة المسلحة لتضع حداً للاعبين المحليين (الدول المجاورة والاقليمية) ولتنقل المواجهة على النفوذ على سوريا مباشرة بينها وبين الولايات المتحدة الاميركية .

أمام هذا الواقع الجديد للصراع نحن امام اسئلة مهمة لا بد من طرحها لمعرفة دور حزب الله في السياسة القادمة لأمننا القومي:

- هل أصبح لحزب الله استراتيجيته الخاصة بمعزل عن الاستراتيجية الايرانية بعد أن انتهت المواجهة بين ايران والولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها فيما يخص الموضوع النووي وبالتالي .
- هل أصبح بالإمكان القول بأن قرار الحرب اصبح قراراً داخلياً بيد حزب الله بعيدا عن التأثير الايراني المباشر واذا كان كذلك فأي اهداف ستحدد لهذه الحرب .

وبالتالي من ضمن تحديد الاستراتيجية الدفاعية التي تحدد الاطار للأمن القومي تطرح الاسئلة الاصعب:

1- هل أصبح بإمكان حزب الله الدخول رسمياً بالمنظومة الدفاعية الامنية اللبنانية للاستفادة من هذه القدرة رسمياً على صعيد الدولة اللبنانية في مواجهة اسرائيل ومواجهة الارهاب .

وضمن أية منظومة عسكرية وامنية يمكن أن يتم ذلك.

2- وهل يتقبل بقية الأطراف في لبنان المفاوضة المباشرة مع حزب الله حول دخوله المنظومة الرسمية في لبنان وإشراكه في القرار الرسمي ومن داخل المؤسسات الحكومية.

3- ما هي الفترة المطلوبة من الزمن لتصبح هذه الأمور مطروحة للبحث.

4- وبانتظار ذالك هل ستتمكن الاجهزة الامنية من المحافظة على الدور الحالي الذي تقوم به والذي يحظى حتى الان بدعم من مختلف الأطراف السياسية والأمنية الداخلية والإقليمية والدولية.

قد يكون من المبكر الاجابة على هذه التساؤلات وقد لا تتأخر كثيرا الاجابة لتصل الى مسامعنا. فالأحداث بدأت بالتسارع.

وبانتظار هدوء صراع النفوذ الدائر في المنطقة ، الجميع في لبنان معنيين بالحفاظ على وحدة ودور الجيش اللبناني والاجهزة الامنية.